

تجليات الأنساق الثقافية في الرواية الجزائرية المعاصرة

"الأسود يليق بك لأحلام مستغانمي" أنموذجا

Manifestation of Cultural Patterns in the Contemporary Algerian Novel

Case Study "Black Suitable for You" by Ahlam Mestaghanemi

فريدة نوي* مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة

جامعة باتنة 1، farida.noui@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال	2019/09/25م	تاريخ القبول	2019/01/05م
---------------	-------------	--------------	-------------

ملخص

عرفت الرواية الجزائرية المعاصرة خلال العقود الأخيرة تحولات كثيرة على مستوى الشكل والمضمون والذي عُرف بما يسمى بالتجريب، ومن أبرز ملامحه تداخل الرواية مع الأجناس الأدبية الأخرى، كما كان للأنساق الثقافية الدور المهم في ذلك، لتخوض الرواية الجزائرية المعاصرة غمار التجريب على جميع أصعدها باستثمارها لجل الأنساق الثقافية لرسم خصوصية خطابها الروائي، حيث ربط الروائي نصه بالتراث الثقافي بجميع أشكاله المادية منها والمعنوية المرتبطة بالبيئة والمجتمع الذي أنتجه، لتصبح بذلك الرواية عبارة عن نص تُخزن فيه ذاكرة المجتمع وخصوصيته، مما يخول للروائي بهذا الوعي التقدم بعيداً في تخوم مغامرات الكتابة الروائية باعتبارها المجال الفسيح الذي يتمكن من خلاله إثبات جدوى الكتابة الروائية ودورها في فهم ورصد وتأويل الواقع المعيش وهذا ما سنحاول تتبعه من خلال دراسة رواية "الأسود يليق بك" للروائية الجزائرية المعاصرة أحلام مستغانمي.

الكلمات المفتاحية: الأنساق الثقافية؛ الخطاب الروائي؛ التراث الثقافي؛ الرواية الجزائرية

Abstract

Contemporary Algerian novel has recently undergone many transformations in form and content known as experimentation. One of its most prominent features was the novel's overlap with other literary genres and cultural patterns. Nevertheless, contemporary Algerian novel underwent experimentation at all levels by investing most cultural patterns drawing its fictional discourse peculiarity. Novelist, hence linked his text with cultural heritage in all its physical and moral forms, associated with environment and society produced it. Thus, the novel becomes a text in which society's memory and privacy are stored. This awareness enables novelist advancing far in fictional writing adventure being vast field to prove usefulness of fictional writing and its role in understanding, monitoring and interpreting the reality. This research is an investigation in "Black suitable for You" by contemporary Algerian novelist Ahlam Mestaghanemi.

Keywords: Cultural models; narrative discourse; cultural heritage; Algerian novel

* المؤلف المرسل

1- مقدمة

تُعتبر الرواية من أشد الأجناس الأدبية التصاقًا بالواقع، وأكثرها تعبيراً على التحولات الدائمة في المجتمع، وهي تعكس أكثر من غيرها الأسئلة والإشكالات الفكرية، والهواجس الثقافية التي تشغل المبدعين والمثقفين.

وقد استقطبت الرواية العربية الحديثة والمعاصرة بصفة خاصة اهتمام الدارسين، وذلك لاعتلائها عرش فنون السرد الأدبي من خلال ربط النص الروائي بالواقع المعيش، وكسرها لنمطية الرواية الكلاسيكية وانفتاحها على أجناس أدبية أخرى، وأنساق ثقافية متعددة، وتوظيفها لآليات وتقنيات حديثة.

ولأن الرواية تعكس الحياة الاجتماعية، وتُعتبر لسانه من خلال نصوص مبدعها، فهي بذلك تعطي لكل نص روائي خصوصيته التي تربطه بالمناخ الذي أُنتج فيه، وبذلك نجد الرواية الجزائرية قد أخذت خصوصيتها في خطابها الروائي الذي مايز بينها وبين غيرها من الروايات الأخرى، من خلال توظيفها لترسبات ثقافية تشكلت عبر أزمنة مختلفة، وظروف ومتغيرات ساهمت في نحت وإعطاء خصوصية فكرية وثقافية وأدبية وتاريخية تجلت بفسيفسائها المتميزة داخل المتون الروائية الجزائرية المعاصرة، كون هذه الخصوصية اتخذت من اللغة العربية والأمازيغية والفرنسية لساناً لها، فهي أثبتت في العقود الثلاثة الأخيرة جدارتها، مما ميزها عن نظيرتها في المشرق العربي واستطاعت أن تحتل مكانة هامة داخل حقل الرواية العربية والعالمية، ويظهر ذلك جلياً من خلال الجوائز التي حازت عليها في المسابقات الأدبية العربية والأجنبية أو في الترجمة إلى اللغات الأجنبية، وهذا ما صبغها بخصوصية أكثر من كونها تنتمي إلى منطقة جغرافية معينة فحسب بل لأنها تحمل في طياتها تنوع كبير في أنماط السرد وتقنيات الكتابة وأشكال التعبير. تنوع يعكس تعدد الأجوبة التي قدمها الخطاب الروائي الجزائري في مواجهة وضع ثقافي مزدحم بالخصوصيات وبأقطاب الهيمنة، كذلك وقد عمد

على تطوير هذا الخطاب بوصفه وعياً وشكلاً من أشكال ممارسة الوجود عدة استراتيجيات لإثبات حضور خاص به.

ومنه نتساءل إلى أي حد أثر البُعد الاجتماعي والجغرافي والتاريخي في تشكيل الأنساق الثقافية المتמظهرة داخل المتن الروائي الجزائري المعاصر؟
ودفعنا هذا التساؤل إلى محاولة البحث في خصوصية الرواية الجزائرية، من حيث أشكال التعبير، وتقنيات الكتابة الحديثة والمعاصرة من انفتاح وتداخل بين الأنساق الثقافية في نسج السرد الروائي الجزائري المعاصر، وقد استعنا برواية " الأسود يليق بك " للروائية أحلام مستغانمي لتكون ميدان التطبيق والدراسة.

2- تعالق الرواية الجزائرية بالأنساق الثقافية

لا تعكس الرواية عموماً الصدى بكل أصواته وحركاته، وإنما تحاوره وتختار التعبير عما تراه رمزياً وغير مباشر، لأن كل نص يُعبر عن أفق ما، فهو متشكل من مختلف الأصوات والأفكار ونسائج التعبيرات والأحلام والمعتقدات والتطلعات والقيم بين ترسبات الماضي ومستجدات الحاضر وتطلعات المستقبل، ومن ثمة فهو نص ثقافي مبني من عناصر عدة، يتداخل في تشكيلها تراكم الخطابات التي تخضع للتوجيه والتطور والتعديل في رؤيتها الجامعة والمشاركة، وذلك حسب المهيمن المرجعي.

وهذا النموذج الثقافي لا يلغي الخاصية الجمالية للسرد، ولكنه في الوقت ذاته لا يفصلها عن سياقاتها الثقافية، والرمزية، والأيديولوجية، فاستراتيجية السرد تقوم على صيغة نظامية مزدوجة يتداخل فيها الأدبي والثقافي، وهذه الرؤية تعطي مفهوماً واضحاً بأن تداخل الأجناس لا يتم خارج الأنساق الثقافية والاجتماعية "فليت الأنواع تنتج الأنواع في علاقة تناسلية أو تلقيح ذاتي يتم في

معزل عن الملقح والمولد الخارجي ، وشروط خارجية يولد فيها النوع خارج تداول وميلاد أنواع دون أخرى ". (يحياوي، 1994، صفحة 181)

فيستحضر بذلك سياقات الهوية والتمثيل، والتاريخ، والسلطة من أجل بناء رؤية معينة للعالم، وبالتالي فالقراءة الثقافية معنية بمراعاة هذا النظام المزدوج في التأويل " فتقوم بتفكيك سياسات التمثيل للكشف عن مضمراتها، والإيديولوجية دون أن تضحي بالتشكيل الجمالي للسرد. " (سعيد، فسواناثان، و فليقلي حجازي، 2008، صفحة 222)

وتُعد الرواية من أكثر الأجناس الأدبية انفتاحاً على الأنساق الثقافية نظراً لحجمها، وتمتعها بإمكانية السرد، والوصف، والتحليل، كما يمكنها تمثيل الواقع الثقافي والأيديولوجي والتخييلي.

وقد عرفت الرواية منذ نشأتها في الغرب عدة تحولات سايرت مراحل تطورها، ولم تكن الرواية العربية بمعزل عن ذلك، فقد ظهرت الرواية العربية متأثرة بنظيرتها في الغرب لتأتي الرواية المغاربية متأخرة في نشأتها عن الرواية العربية في المشرق العربي لأسباب تاريخية، لكنها استطاعت أن تحمل خصائص المشهد الروائي العربي من خلال النشأة والتطور والجماليات.

ولكن تبقى الرواية الجزائرية بصفة خاصة تحتفظ بخصوصيتها التي تميزها عن الرواية العربية، والتي عُبر عنها بالأنساق الثقافية المتجلية داخل الخطابات الروائية الجزائرية، حيث سعى الروائي الجزائري إلى تأسيس تجربة روائية متكاملة تنحو نحو التأصيل من أجل خلق خصوصية للخطاب الروائي، فراح يبحث عن أشكال يثبت من خلالها هويته، وكانت الأنساق الثقافية معلماً بارزاً وملحماً واضحاً أضفى على الرواية ملامح الخصوصية والتميز.

ومن بين الروائيين الجزائريين المعاصرين الذين احتفوا بهذا النوع من الكتابة "واسيني الأعرج" و"عبد الحميد بن هدوقة" و"لحبيب السايحي" و"عبد

المالك مرتاض" و"عزالدين جلاوي" ... إلخ حيث تزخر أعمالهم الروائية بالأنساق الثقافية شكلاً ومضموناً، فهي تتكامل فيما بينها لتضعنا ختماً أمام تجربة روائية استقطبت النسق الثقافي بأشكاله المختلفة، إذ توزعت الاستفادة من النسق الثقافي ما بين محاكاة لشكل النصوص القديمة، وأسلوبها، وبين توظيف المادة التراثية المادية منها والمعنوية.

وقد عرفت الرواية الجزائرية توظيفاً للأنساق الثقافية بمختلف أنواعها كالنسق التاريخي، والشعبي والأسطوري وغيره، بدرجات متفاوتة باعتباره مكوناً أساسياً في النص الروائي الحديث والمعاصر.

لقد أصبح الاهتمام بالأنساق الثقافية لدى الروائيين الجزائريين سبيلاً فنياً يخلق نمط كتابة مغايرة، وبعداً معرفياً يراهن عليه المبدع لطرح أسئلة تتعلق بالواقع وقضايا المعقدة، كما أصبح الخطاب الروائي الجزائري مع انفتاحه على الأنساق الثقافية ذا وظيفة مزدوجة تجعله أولاً مسهماً في خصوصية الرواية ومحليتها، وتجعله ثانياً وسيلة من وسائل التجديد، وهكذا فالتوجه نحو الانفتاح يعتبر أحد أبرز ملامح التجريب. والذي جعل النص الروائي ينفتح على آفاق واسعة واستثمارها فيما يخدم مضامين نصوصها الإبداعية وتشكيل جمالياتها، وتعتبر الرواية الجزائرية المعاصرة من بين الروايات التي اشتغلت على الأنساق الثقافية للموروث الثقافي للمجتمع الجزائري.

فالرواية الجزائرية عامرة بتمثلاتها الثقافية التي تعكس الأنساق الكامنة في المجتمع وتنقل أبعادها وتبرز تجلياتها، فمنذ تأسيسها كانت الرواية حاضرة لتسرد تاريخ الأمة وتعرب عن تجاربها وثقافتها وحياتها، إذ ليست الطبيعة وحدها ما يحتوي الإنسان بل الثقافة المتغيرة والدينامية أيضاً، تُعبر عن كينونته وتفضح خباياه وتعري جوهره الوجودي، لأن الأنساق الثقافية هي ما يشكل هوية الإنسان،

إذ تحكمه الأنساق وأنظمة توجه تفكيره وسلوكه وحياته، وتحدد موقفه اتجاه الأشياء من حوله وهي بذلك تصنع هويته الخاصة فهي "تشتمل على جميع السمات المميزة للأمة من مادية وروحية وفكرية وفنية ووجدانية وتشمل جميع المعارف والقيم والالتزامات الأخلاقية المستقرة فيها، وطرائق التفكير والإبداع الجمالي والفني والمعرفي والتقني وسبل السلوك، والتصرف والتعبير، وطرز الحياة كما تشمل تطلعات الإنسان للمثل العليا ومحاولاته في إعادة النظر في منجزاته، والبحث الدائم عن مدلولات جديدة لحياته وقيمه ومستقبله، وإبداع كل ما يتفوق به على ذاته." (صالح، 2011، صفحة 17)

ومنه نجد أن جماليات الثقافة تكمن في خصوصيتها المتمثلة في مجموع العادات والتقاليد وأساليب التفكير، وطرق المعيشة المرتبطة بالثقافة، وأن العلاقة بين الجماليات الثقافية والجماليات الأدبية تكمن في إدراج الثانية ضمن الأولى، وبذلك تصبح الرواية من أهم الأنواع الأدبية التي تخزن أشكال الثقافة بشقيها المادي والمعنوي.

3- تمظهرات الأنساق الثقافية في "الأسود يليق بك" أنموذجاً

"الأسود يليق بك" رواية من تأليف الروائية أحلام مستغانمي، صدرت عام 2012 عن دار النشر نوفل بيروت لبنان. تسرد قصة مليونير لبناني ناهز عمره الخمسون عاماً أعجبت مطربة جزائرية شابة في السابعة والعشرين من عمرها، شاهدها مصادفة في برنامج تلفزيوني، فقرر أن تكون له، فيبدأ البطل الذي جاهد ليثري محصوله الثقافي في الموسيقى، والفن، والشعر إلى وضع الخطة تلو الخطة للإيقاع بهذه الحسناء التي ترتدي الأسود حداداً على مقتل والدها وأخها خلال الاضطرابات التي شهدتها الجزائر في مطلع القرن الحالي.

تعتبر الرواية من الأجناس الأدبية التي تتميز بمرونة متنها، فتنصهر داخلها عدة فنون أدبية تتماشى مع طرائق السرد فيها، وتنتفتح على سياق النص فتمنحه

الوعي اللساني والحس الخاص به، فيما يرجع لحدوده التاريخية والاجتماعية والعقائدية من خلال توظيف عدة أنساق، فيصبح كل خطاب موضوعاً لخطاب آخر وهي فكرة حوارية بالأساس، حيث تتخلل الرواية أجناس أدبية وأنساق ثقافية تدخل إلى عالمها كخطاب لا يفقد خصوصيته الغيرية، ولكنه في الوقت نفسه يندمج مع الخطاب العام للرواية.

"فالرواية تسمح بأن تدخل إلى كيائها جميع أنواع الأجناس التعبيرية سواءً أكانت أدبية (قصص، أشعار، قصائد، مقاطع كوميدية) أم خارج أدبية (دراسات من السلوكيات نصوص بلاغية وعلمية ودينية ...)، إذ دور الأجناس المتخللة كبير جداً لدرجة أن الرواية يمكن أن تبدو كأنها مجردة من إمكانيات الأولى في المقاربة اللفظية للواقع ومتطلباته لتشييد أولى لذلك الواقع بواسطة أجناس تعبيرية أخرى" (ميخائيل و برادة، 1987، صفحة 212). وللأنساق الثقافية دور مهم في نسج أحداث الرواية من خلال المزج بينها بما يخدم النص الروائي للوصول إلى الفكرة التي يريد الكاتب إيصالها إلى المتلقي، وفي مدونة "الأسود يليق بك" تبرز لنا عدة أنساق ثقافية، بعضها تم إنجازه من طرف الروائية مستخدمتاً واقعية مستمدة من بيئتها الاجتماعية، قامت بتركيبها على مستوى الفضاءات وسائل السردية بصورة متخيلة، لتكون أكثر تجريداً ومحايثة للواقع من حيث الصياغة الشعرية، وأعمق دلالة من الناحية الرمزية، حيث تكون مرجعية مألوفة في الواقع، ومواد بناءه مستمدة من الواقع، باعتباره مصدراً ينطلق منه وينتهي إليه الخطاب الروائي، لكن طريقة تركيب تلك العناصر والمكونات وتشكيلها وكيفية تفاعلها مستوحاة من نسج خيال المبدع، ومن خالص صناعته الفنية، فتنشأ لنا فضاءات زمنية ومكانية، وشخصيات تحمل تركيب نظيرتها الموجودة في الواقع دون أن تحمل منطقته ونظام سيره لتعود في النهاية بدلالة رمزية، تشير إليه دون أن تصرح

وتوحي بالمعنى دون أن تعلنه، وتعلق على أحداثه من خلال ما يتفاعل في فضاء المتخيل من واقع أقيمت على واقع مواز لم يشأ أن يكون موازياً للواقع الأصلي إلا من أجل خلق مساحة تعبيرية رمزية بين الواقع الأصلي والمتخيل لقول ما لم يمكن قوله علناً وتحرير ما كتبه الواقع في النفس من حقائق ومواقف، في خطاب رمزي محمول على علامات ظاهرة وأخرى مخفية بين السطور في لغة شعرية داخل النص الروائي. تظهر من خلالها قدرة المبدع التخيلية والتصويرية في نسج فضاءات يصب فيها فلسفته ويبلور فيها موقفاً فنياً من العالم والوجود "يشكل الفضاء...معياراً لقياس الوعي والعلائق والترتيبات الوجودية والاجتماعية والثقافية" (نجمي، 2000، صفحة 32)، لذلك فالتعبير عن أفكار الإنسان وثقافته بمختلف أنساقها لا يتم إلا داخل فضاء مخيالي ما ينظمها فيه وهناك أنساق جاهزة هي أنساق صاغها المجتمع، وقد تمكنت الروائية أحلام مستغانمي من استثمار الأجناس الأدبية، والأنساق الثقافية في بناء عالم روايتها لأنها تتقن صناعة الكلمة الشعرية ولترتقي بلغة الكتابة الروائية إلى مستوى جمالي تبرهن فيه على إذابة الحدود الوهمية في صناعة الكلمة الأدبية لتعلن عن أسلوبها ومذهبها الإبداعي، فنجدها قد وظفت عدة أنساق ثقافية مضمرة وتصريحية لتصل بأفكارها إلى وعي المتلقي الفردي والجماعي، ومن أهم الأنساق الثقافية الموظفة في رواية "الأسود يليق بك":

3-1 - الأنساق التراثية الشعبية

يعتبر التراث الشعبي من أبرز الأنساق الثقافية التي حاولت الروائية أن تصيغها داخل روايتها وذلك بربط الملفوظ بالوعي الاجتماعي، فالأمثال الشعبية تأتي في أقصى صور التكثيف والإيجاز مع بعد رمزي يستند إلى ثقافة عامة مشتركة فهي تمثل موقفاً تقويمياً جماعياً حيث نجد الفارابي يقول: "والمثل من أبلغ الحكمة، لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة أو غير مبالغ في

النفاسة" (الفارابي و محمد عنتر، 1974، صفحة 74)، فهو يعبر عن ذهنية الأمة، وواقعها وطموحاتها، وقد ساهم في تشكيل الخطاب السردى ليصبح جزء من الرواية، باعتبارها بنية كبرى منفتحة على كل الخطابات والأنساق، ومن بين الأمثال الموظفة في رواية "الأسود يليق بك" ما يلي:

- "يأكلني الحوت ولا يأكلني الدود..." (مستغاني، 2012، صفحة 93)

وهذا المثل يعبر عن حالة القهر واليأس التي يعاني منها الشباب الجزائري البطال والتي دفعته للهجرة الغير شرعية وتفضيل الموت غرقاً على البقاء في الوطن الذي يحول دون تحقيق أحلامه وطموحاته.

- "يا قاتل الروح وين تروح؟" (مستغاني، 2012، صفحة 195)

وهي مقولة شعبية تقال عن أي شخص يقوم بعمل سيء بأنه لن ينجو من عقاب الله على فعلته. وهنا نجد أم هالة التي ثكلت وترملت لم تغفر لمن قتل ابنها وزوجها رغم صدور قرار العفو المدني.

2-3- نسق التراث الديني

مما يلاحظ في رواية "الأسود يليق بك" أنها جاءت بشكل أبواب أو أجزاء معنونه بمقولات لمفكرين وأدباء، وقد أوردت من بين تلك المقولات حكمة الإمام علي رضي الله عنه وأرضاه وهي: "أحب من شئت فأنت مفارقه" (مستغاني، 2012، صفحة 294) وكذلك "لو كان لي الختار لما كنت غير بائع أزهار، فإن فاتني الريح لا يفوتني العطر"، (مستغاني، 2012، صفحة 123) وهي مقولة يتشارك فيها البطل مع الصحابي عمر بن الخطاب حيث تأثر به على حد قوله "إنها أمنية أشرتكم فيها مع عمر بن الخطاب، هو من قالها" (مستغاني، 2012، صفحة 123). وهي من التراث الإسلامي العربي.

3-3- النسق التاريخي والسياسي والأيدولوجي

جاء النسق التاريخي داخل الخطاب الروائي واضحاً ومرتبطاً بأحداث، فالزمن هو بطل الروايات الحديثة، وهو زمن مطابق للزمن التاريخي التوثيقي والراوي لا ينسج الوثيقة التاريخية بل يعيد صياغتها وقراءتها.

"رؤى لها أنه أثناء حرب التحرير، كان يصعد الى أبعد مرتفع في الجبل، للقيام بنوبة حراسة للقرية، وعندما يرى من بعيد قوافل " البلاندي " والمدركات الفرنسية المقبلة، ينادي منهمأ أبناء الدشرة لقدم الفرنسيين، فيلتقف صده " تراس " في الجبل الآخر، ثم آخر، ويتناقل الرجال النداء عبر الجبال متناوبين على إيصال الخبر إلى كافة الأهالي". (مستغاني، 2012، صفحة 64)

من خلال هذه الأسطر نجد الروائية تحاول أن تعود بالقارئ إلى فترة الثورة ضد الاستعمار الفرنسي، وكيف كان جدها يصعد إلى أعلى مرتفع من الجبل للقيام بنوبة الحراسة للقرية لتنبيه المجاهدين عند قدوم الاستعمار الفرنسي، وهنا نرى خطاب مضمّر داخل هذه الكلمات يتمثل في الإشارة إلى قلة الإمكانيات وإلى إبراز شجاعة وبسالة رجال الأوراس الذي يُعد مهد الثورة الجزائرية.

"ثم حدث على أيام الرئيس بوضياف، أن داهمت السلطات الجامعة، وقبضت على عشرات الإسلاميين، وأرسلتهم الى معتقلات الصحراء بعد ان ضاقت المدن بمساجينها، عندئذ قرر علاء أن يترك الجامعة حال تقديمه امتحانات آخر السنة، استجابة لإلحاح أمه، على أن يسافر لاحقاً إلى العاصمة لمواصلة دراسته هناك". (مستغاني، 2012، صفحة 68)

هنا نجد الروائية توثق لأحداث فترة معينة عاشتها الجزائر بعد الاستقلال وهي بداية الثمانينات مع إنشاء الجامعة الإسلامية بقسنطينة والتي ترى الروائية بأنها "كانت جامعة قسنطينة ممرا إجباريا لكل الفتن، ومختبراً مفتوحاً على كل التطرفات". (مستغاني، 2012، صفحة 68)

لتسرد أحداث العشرية السوداء والتي نالت جزءاً وافراً من أحداث الرواية والتي كانت سبباً في تشكيل شخصية البطلة هالة فقد قتل المتطرفين الإرهابيين والدها، وتم تجنيد أخيها الطبيب علاء ثم تم اغتياله من طرف الإسلاميين.

وهنا نلمس نسق سياسي، وإيديولوجي فهي قد بدأت الحديث عن جد هالة كمدخل إلى تاريخ الجزائر لتصل إلى المأساة الجزائرية في أحداث العشرية السوداء من تعصب ديني وجماعات إرهابية وقتل للأبرياء وصولاً إلى المصالحة الوطنية والعفو الشامل في عهد الرئيس عبد العزيز بوتفليقة 1999م حيث نجدها تقول: -"لو بقينا كل واحد يأخذ ثاروا بيدوا عمرها ما تخلص، اللي ماتوا مش رايعين يرجعوا، لكن لبلاد تروح الحق.. في هذي بوتفليقة يعطيه الصحة.. يرحم والديه عمل شيء ما حد غيرو كان قدر عليه. (مستغاني، 2012، صفحة 196)

- "كان فيه شيء من غيفارا، ذاك الذي استعمل رحمة الطبيب لمداواة الشعوب من جراح الوحوش البشرية مهما كان اسمها، دون أن يفرق بين الظالم الحقيقي، والظالم المدجج بسيف العدالة.

علاء يصلح بطلاً لرواية يعيش فيها البطل حياة لم يردها، حدث له نقيض ما تمناه تماماً". (مستغاني، 2012، صفحة 69)

وتظهر أنساق ثقافية مضمرة من خلال الخطاب التاريخي الموثق وهي رفضها للإرهاب وعدم اقتناعها بالعفو المدني، لنجدها تصف بطلة روايتها في الصفحات الأخيرة من الرواية بقولها: «ماذا يعرف عنها هي سليلة "الكاهنة امرأة لم تخسر حرباً واحدة على مدى نصف قرن. كلما تكالب عليها الأعداء، وتناوب الخصوم على مضاربها، خسروا رهان رجولتهم في تركيع أنوثتها" (مستغاني، 2012، صفحة 327) وهي تعتبر رمز من رموز التاريخ الجزائري.

3-4 - النسق الاجتماعي من عادات وتقاليد

تزخر رواية " الأسود يليق بك " بالتمثيلات الاجتماعية المتمثلة في العادات والتقاليد والتي جاءت كلون يصبغ الخطاب الروائي ليعطيه خصوصية متميزة ومن أمثلة ذلك:

"لا شيء من تلك (الزردات) التي تربت عليها، وما زالت تُقدم في المناسبات الاجتماعية في كل البيوت الجزائرية، في "قصعة" خشبية مصنوعة من جذع شجرة ضخمة، يتم إحداث تجويف داخلها عمقه عشرون سنتيمتراً، بحيث يمكن لكميات الكسكسي الذي يقدم فيها. مزداناً بقطع اللحوم والخضر، ان يجمع حوله كل الأيدي ويطعم. كل من يحضر". (مستغاني، 2012، صفحة 252)

تظهر ملامح التقاليد الاجتماعية الجزائرية من خلال استعمالها للكلمة "الزردات" وهي مأدبة جماعية يقوم بها الجزائريون في الأفراح والمناسبات. وكذلك "القصعة" وهي إحدى الأواني التي تعد من أبرز الأواني التقليدية التي توجد في كل بيت من البيوت الجزائرية نظراً لأهميتها في المطبخ الجزائري.

"لاحقاً ستدرك أن من يجلس أمام صحن كبير، وضعت فيه كمية صغيرة من الأكل، ليس مستعداً لاقتسام أشيائه الخاصة مع أحد، حتى من أقرب الناس إليه، لا جدوى من اختباره بتعريف يقول " الحب هو مقدرة شخصين على استخدام فرشاة أسنان واحدة". (مستغاني، 2012، صفحة 252)

وهنا معاني مضمرة أبقته الروائية حديثاً داخلياً لهالة بطله روايتها بأن الأناية لا تكون في الحب، وأن الحب هو المشاركة والتماهي مع الطرف الآخر.

"وها هو جسدها يستعيد فجأة ذاكرته القبلية، ورجال قبيلتها يباشرون نوبة حراستهم وقد خالهم غادروا". (مستغاني، 2012، صفحة 278)

إن المجتمع له قيوده وأحكامه العرفية التي ينشأ على منوالها كل فرد من ذلك المجتمع لتصبح ترسبات تتحكم في اللاوعي الفردي، فلا يمكن التخلص منها، فالثقافة السائدة في المجتمع هي السلطة العليا التي تتحكم في تصرفاته.

كما نجد بعدا آخر من ملامح العادات والتقاليد كالألْبسة التي يتميز بها رجال الأوراس خاصة والجزائر عامة في قولها حين تصف جدها أحمد " كان كالأوراس المكلل بالثلج، يبدوا بقامته الفارعة وبعمامته البيضاء قريباً من السماء " (مستغاني، 2012، صفحة 63)، فهي شبهت شموخ جدها بشموخ جبال الأوراس وشبهت بياض لون عمامته التي هي عبارة عن قطعة قماش يلف بها الرجل رأسه كتاج ببياض لون الثلج الذي يوجد فوق قمم جبال الأوراس.

2-5- نسق اللهجات المحلية والأجنبية داخل اللغة العربية الفصحى

ونجد بعد ثقافي آخر ونسق ثقافي متمثل في استعمال الروائية لوحداث عامية ذات طابع محلي متمثل في اللهجة العامية الجزائرية والسورية مثل:

3-5-1- اللهجة الجزائرية المحلية

"نصيرة تسلم عليك بزاف، طلبت مني تليفونك نعطيها؟ (مستغاني، 2012، صفحة 24)

"لوكنت رايحة نغني. في حفل بالجزائر ما خليتكش تجي معاي.. واش نعمل بيك وأنت جايي لابس كوستيم وحاط الجال على شعرك ... " (مستغاني، 2012، صفحة 73)

"أنا منيش متاع هذا الشيء ... خاطيني "الكاراتي" .. في البلاد شوفي واحد آخر يروح معاك." (مستغاني، 2012، صفحة 74)

"نتزوج؟ علاش هبلت؟ يا ربي نسلك راسي ... وين رايعين يهربوا البنات.. راهم أكثر من ثلاثة ملايين بايرة في الجزائر" (مستغاني، 2012، صفحة 93)

جاءت اللهجة الجزائرية بشكل بارز في متن الرواية فلا تكاد صفحة منها مما يبين مدى تعلق

الروائية بلهجتها الجزائرية.

3- 5- 2 - اللهجة السورية

نجدها موظفة في عدة مواطن من المتن الروائي لتظهر البعد العربي والامتداد القومي.

- "كيفك حبيبتي ... إن شاء الله وصلت بخير؟

- الحمد لله ... وأنتم كيفكم؟

- تمام.

- وهذا الأخوات تبع الورد ... كيف طلع؟ إن شاء الله حلو؟

- باي حبيبتي."

كما نجد تداخل بين اللهجة الجزائرية المحلية واللهجة السورية في عدة أماكن في متن الرواية ومثال ذلك الحوار الذي دار بين عمّة هالة ووالدتها:

- "كانت العمّة تحمل أخباراً سارة

- حمد لله رانا في رحمة ربي.. أرجع ألنا الأمان يا هند يا أختي.. يا ريت صبرتي شوية ما قدرتش انعيش مع اللي قتلوا ولدي وقتلوا راجلي.. لو قعدت هناك كنت مت والا قتلت حد.

- الناس كلهم صابرين.. واللي ماعندوش وين يروح واش يدير.. نوكلوا عليهم ربي " يا قاتل الروح وين تروح "

تدخلت لتلطّف الأجواء، قالت موجهة الحديث لعمتها:

- أمي حابه تعمل مثل الحاجة الزهرة في قسنطينة.. جاو الإرهابيين في عمر ابنا أخذوا ابنا في الليل وقتلوه قداما وهي تبكي وتحاول فيهم ولما عرفتهم راحت وجابت رشاش تدربت عليه وقتلتهم.. وصارت ما عندا شغلة غير ملاحقة الإرهابيين..

رفضت ان تعترف بقانون الرحمة، قالت: «نأخذ حقي بيدي.. اللي مارحمنيش مانرحموش..»

قالت الأم متعجبة:

- ما سمعت ها القصة.. امتى صارت؟

ردت:

- لما كنا بالجزائر.. سمتها الصحافة " جميلة بوحيرد الثانية «. شيء ما بيتصدق..

مرا عمرا ستين سنة قتلت خمسين إرهابي؟

واصلت مازحة وهي ترى أمها مأخوذة بالقصة:

- خفت وقتا بحكيك تروحي تجيي رشاش ونصير نص العايلة مقتولة ، ونص قتلة " (مستغانمي، 2012، صفحة 195)

إن استعمال اللهجات المحلية سواءً اللهجة الجزائرية أو السورية لم يأتي اعتباطياً، بل عن قصدية ووعي لتقريب اللغة الدارجة وربطها بكيان الروائي كنسق ثقافي أبرز العنصر السوسيولساني للهجنة الدارجة في الجزائر وسوريا، وهذا يعود بالفائدة على اللغة لأنه يعمل على تشييد صوتها، يقول (باختين) أن: "التهجين القصدي الموجه نحو الفن الأدبي هو إحدى الطرائق الأساسية لبناء صورة اللغة، ويجب أن ندقق أنه في حالة التهجين فإن اللغة التي تضيء (عادة تكون نسقاً من اللغة الأدبية المعاصرة) تتخذ طابعاً موضوعياً إلى حد ما ،لتصبح صورة، وكلما طبقت طريقة التهجين في الرواية بطريقة واسعة وعميقة... كلما اتخذت اللغة المشخصة والمضيئة طابعاً موضوعياً لتتحول في النهاية إلى إحدى صور لغة الرواية". (ميخائيل و برادة، 1987، الصفحات 88-89)

ومن هذه الأمثلة نستشف دور الأنساق الثقافية في تشكيل الخطاب الروائي، من خلال توظيف التراث الثقافي من عادات وتقاليد ومعتقدات، وأساليب

التفكير وطرق الحياة المرتبطة بالثقافة وكيف اشتغلت جماليات الثقافة وجماليات الأدب حيث ضمت الثانية الأولى لأن الجماليات الأدبية رغم أهميتها إلا أنها غير كافية لمشروع النقد الثقافي. وتعتبر الرواية من أهم الأنواع الأدبية التي تخزن أشكال الثقافة المادية والمعنوية.

خاتمة

لقد أصبح الخطاب الروائي الجزائري المعاصر جزءاً ملتحم بالخطاب الثقافي، وقد دنا عدد من المفكرين والمثقفين والباحثين من خلال نظرتهم إلى الإبداع الروائي وعلاقته بالمجتمع، من تشخيص تجاذب النص السردي بين الذات والتاريخ والمجتمع، وهو تشخيص يحيل على مرجعيات رصيد الانطلاق الذي يعود إلى أسئلة الواقع المتجددة ومرجعها الثقافي الطويل.

ولعل في عودة الروائي إلى سؤال علاقته بالمجتمع، والإنسان، لهو تأكيد على أن وجودنا الأنطولوجي والحضاري رهين بمدى قوة ثقافتنا، وهذا ما جعل الروائي المعاصر يترصد الأنساق الثقافية بوعي جمالي ليكسب نصه نوع من الخصوصية التي تربطه بهويته وانتماءه فظهر ذلك جلياً في الإنتاج الإبداعي، خصوصاً في فن الرواية.

- تعد الرواية شكلاً من أشكال الثقافة ضمن سياق المجتمع والاقتصاد والسلطة والسياسة التي تسهم في تشكيل خاصية ثقافة ما

- لقد استطاعت الأنساق الثقافية في ولوجها إلى عالم الرواية أن تشكل تكامل وظيفي منح النص الروائي جمالية خاصة مستمدة من نبض حركة المجتمع، مما أعطاه صبغة ما يطلق عليه بالكتابة التجريبية، التي تحاول تجاوز المألوف إلى ما هو غير مألوف لكن بوعي ناضج، وفن متحكم في آلياته.

- تمكنت الروائية أحلام مستغانمي أن تثري الخطاب الروائي في روايتها "الأسود يليق بك"، بتوظيفها لمعظم الأنساق الثقافية التي أبرزت من خلالها هويتها وانتمائها الحضاري والثقافي والعائدي واتجاهها الفكري بأسلوب أدبي راقٍ ومتمكن.

- نجح النقد الثقافي في التمييز بين ثقافة الآداب، فلكل مجتمع أنساقه الثقافية التي تميزه عن مجتمع آخر، وهذا ما تظهره الأعمال الأدبية داخل خطاباتها الروائية.

- إن النص الروائي مهما اختلفت تجاربه وتعددت يظل ينهض بدور مخصوص في رسم المبدأ الحوارى بين الاجناس الادبية وغيرها كالأنساق الثقافية ووصل الحاضر بالماضى ومسألة الذاكرة الجمعية التي تُعد مصدراً أساسياً من مصادر الكتابة، ولا غرابة أن تتشرب الرواية من النصوص والخطابات القريبة والبعيدة مادامت النوع المنفتح على جميع الأنواع الأدبية، بل مصب الأنواع كلها.

قائمة المصادر والمراجع

1. مستغانمي أحلام. (2012). *الأسود يليق بك*. بيروت: دار نوفل.
2. سعيد إدوارد، فسواناثان، حجازي نائلة فليقلي. (2008). *السلطة والثقافة*. بيروت: دار الآداب.
3. الفارابي، عنتر عمر محمد. (1974). *ديوان العرب*. القاهرة: مجمع اللغة العربية.
4. باختين ميخائيل، و محمد برادة. (1987). *الخطاب الروائي*. القاهرة: منتديات دار العرب.
5. نجمي حسن نجمي. (2000). *شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية*. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
6. يحياوي رشيد. (1994). *شعرية النوع الأدبي*. المغرب: دار إفريقيا للنشر.
7. صالح هويدا. (2011). *صورة المثقف في الرواية الجديدة*. القاهرة: دار رؤية للنشر.